﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر: 66]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

على العَبدِ المؤمنِ أنْ يُجدِّدَ إيمانَه؛ كُلَّما تعرَّضَ لبلاءٍ

لَمّا ذكَر تعالى الآياتِ الدّالَّةَ على وحدانيَّته، مِن كونه خالقَ كلِّ شيء، وأنَّه على كلِّ شيء وكيلٌ، وله مقاليد السَّماوات والأرض، وأنَّ قومًا كفروا بهذه الآياتِ، فخسروا، بل تجاوزوا ذلك إلى أمرِ رسولهم بالكفر، مِمّا اقتضَى الرَّدَّ والإنكارَ والتَّذْكيرَ بأصلِ الأصولِ - وهو التَّوحيدُ - في جميعِ النُّبوّاتِ؛ ختَم تعالى هذا المقطعَ بتثبيتِ نبيِّه ﷺ في مقام إخلاصِ العبادة له، وديمومته في ذلك بشُكْرِ تلك النِّعْمةِ العليَّة وغيرِها مِن النِّعَم، وكأنَّ أمْرَ الله تعالى حبيبَه محمَّدًا ﷺ بإخلاص العبادة له وبشكره في هذه الآية تجديدُ إيناسٍ له بربِّه مِمّا دخَل على نفْسِه الشَّريفة مِن أذًى؛ بسبب أمرِه بعبادة غير الله تعالى.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

الأمرُ للنَّبيِّ ﷺ أمرٌ لأمَّته بالتَّبع

هذه الآيةُ الكريمةُ ردٌّ لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم، كأنَّه قال: لا تعبد ما أمروك بعبادته، بل إن كنت فاعلًا؛ فاعبد الله، وأخلص له العبادة وحده، لا شريك له، وكن من الشّاكرين إنعامَ اللهِ عليك الَّذي يضيق عنه نطاق الحصر، ومنه أن جعلك سيِّد ولد آدم، وبما أنَّ النَّبيَّ ﷺ إمام أُمَّته، فأمْرُه بعبادة الله وشكره تعالى وحده أمْرٌ لأُمَّته تبعًا له[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ رَدِّ العَجُزِ على الصَّدْرِ:

هذه الآيةُ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، معَ الآيتيْنِ اللَّتيْنِ

(1) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط: 8/ 593.

قبلَها: راجعةٌ إلى مطلع السّورةِ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: 2 - 3]، فقولُه: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ﴾ معناه: لا أعبدُ إلّا اللّهَ مُخْلِصًا له الدّينَ، وقولُه: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ معناه: اعبدِ اللّه مخلصًا له الدّين، وقولُه: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ معناهُ: لا أعبدُ إلّا اللّه مخلِصًا له الدّين، وبهذا يلتقي آخِرُ جزءٍ مِن السّورة مُتعلِّقٍ بالتَّكْليف بأوَّلِ السّورة المُتعلِّق بالتَّكْليفِ، وما بعدَ هذا إنَّما هو في أحوالِ الآخرة التي ينتهي عندَها التَّكْليفُ، مِن النَّفْخِ في الصّور وما بَعْدَه، وهذا كلُّه يُؤكِّدُ أنَّ المعنى الأُمَّ في السّورةِ هو إخلاصُ العبادةِ للّه ربِّ العالمينَ[1].

رُجـــوعُ آخِـــرِ السّورةِ إلى أوَّلِها يرسِّخ أصول ما تدعو إليه

فائدةٌ: ﴿بَلِ﴾:

كلمةُ ﴿بَلِ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ معناها الإضرابُ الإبطاليُّ، فهي لإبطالِ مضمونِ جملةِ: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ﴾، أي: بل لا تُشْرِك، فهي تُبطل الشِّرك الَّذي جاء على سبيلِ الفرض والتَّقدير، أو لإبطالِ جملة: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ﴾، فهي تُبطل ما أبطله الإنكارُ، والمعنى: لا تعبُد ما أمروكَ بعبادته، بل إنْ كنتَ عاقلًا؛ فاعبُدِ اللّهَ، ففي: ﴿بَلِ﴾ رَدٌّ لِما أمَروهُ به، مِن استلامِ بعضِ آلهتِهم، وتأكيدٌ للأمر بعبادة اللّه وحده[2].

الإضـرابُ تمهيدٌ لِمـا بـعـدَه مِـن الأمرِ بعبادةِ الله وحْدَه

الموقع الإعرابيُّ لقوله: ﴿ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾:

لفظُ الجلالةِ مفعولٌ به لفِعْلٍ محذوفٍ دلَّ عليه الفِعْلُ المذكورُ في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡ﴾، وما بعدَ الفاءِ لا يعملُ فيما قبلها، وتقديرُ الكلام: بل اللّهَ اعْبُدْ، فاعبد، ومفعولُ: (اعبد) المذكور محذوفٌ؛ لدلالة مفعولِ المحذوفِ عليه، يعني: عندنا فعلٌ محذوفٌ، وله مفعولٌ مذكورٌ، وفعلٌ مذكورٌ، وله مفعولٌ محذوفٌ، وهذا مِن دقيقِ الكلام،

تـعـدَّدَتْ وجـوهُ الإعـرابِ هنا؛ دلالـــةً عـلى جـذْريَّـةِ معنى الآيةِ للسّورةِ

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 408.

(2) الزمخشري، الكشاف: 13/ 428، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 59.

وقد أفاد التَّوكيد بالتَّكرار، وأفاد الاختصارَ بالحذف، وهذه الفاءُ هي التي اقتَضَتْ فعلًا محذوفًا، ومفعولًا محذوفًا[1].

عِلَّةُ التَّعبير باسم الجلالة:

اللـه الَّـذي لم يـغِـب جـلالُـه وجـمـالُـه أحـقُّ بأن يُعبد

كانَ مِن البلاغةِ والتَّناسُبِ التَّصريحُ باسم الجلالةِ في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾، دون أنْ يُقال: (بل فاعبده) ونحوُ ذلك؛ اعتمادًا على إفهامِه بقوَّةٍ بالسّياقِ؛ للإبلاغِ في الحثِّ على عبادة اللّه وإخلاصِ العبادةِ له، بالتَّنْبيهِ على علَّة ذلك، مِن كمالِ حضورِ تجلّياتِ كمالِه تعالى وجلاله وجماله، وأمَّةُ نبيِّنا ﷺ مقصودةٌ مِن وراءِ هذا الخطابِ، واسمُ الجلالةِ أنسبُ بسياقِ النَّهي العظيمِ والتَّهديدِ الفظيعِ في قوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

نكتةُ تقديمِ اسم الجلالة:

التَّقديمُ يُنادي عـلى مـطـلـعِ السّورةِ ويشتبكُ معَه

أيًّا ما كان موقعُ اسمِ الجلالة: ﴿ٱللَّهَ﴾؛ فإنَّه مفعولٌ لفِعْلِ: (اعبد) المحذوفِ، أو المذكورِ، مُقدَّمٌ عليه، وهذا التَّقديمُ يفيدُ القصرَ قصرَ المُؤخَّرِ على المُقدَّم، أي: اعبدِ اللّهَ لا غيرَه قصرَ صفةٍ على موصوفٍ قصرًا إضافيًّا قلبيًّا؛ لكونِ الآيةِ واردَةً في سياقِ الرَّدِّ على المشركين، كما تضمَّنَه قولُه تعالى: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾، ولهذا كان القصرُ في هذا الموضع، وأمّا ما في أوَّل السّورة: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ﴾ [الزمر: 2]؛ فلفظُ الجلالة جاء مؤخَّرًا؛ لأنَّ السّياقَ هناك خالٍ مِن مُلاحظةِ هذا الرَّدِّ، وإنَّما دلَّ القرآنُ على معنى القَصْرِ بصريحِ قولِه: ﴿مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: 2][2]؛ لأنَّ مطلع السّورةِ مُؤسِّسٌ لِما بعدَه، فمِن البلاغة والتَّناسُبِ فيه التَّصريحُ

(1) الزمخشري، الكشاف: 13/ 429، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 60، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 416.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 60، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 416.

بالمعنى الأُمِّ وفروعِه الكلّيَّة الَّتي يتأسَّسُ عليها ما يأتي مِن معانٍ، وأمّا هذا الموضعُ؛ فهو في نهاية السّورةِ، فيُناسِبُه الإجمالُ.

بلاغة الفاء في قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾: تُرتِّبُ الأمرَ بعبادةِ اللّه وحده على دليلِ الأُلوهيَّة المُتمثِّلِ في قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾، كما فرَّعَت الفاءُ، ورتَّبَت الأمرَ بالعبادةِ مُقيَّدًا بالإخلاصِ على إنزالِ الكتابِ في مطلعِ السّورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ [الزمر: 2]؛ لأنَّ هذه الآيةَ نهايةُ السّورة، مِن جهة أنَّها تُحدِّثُ عن التَّكاليف، وأنَّ ما بعدَها بدايةُ القيامة ونهايةُ التَّكاليف، وبهذا التَّفريع يُرَدُّ العجُز على الصَّدْرِ، والصَّدْرُ هو إخلاصُ العبادةِ للّه، والعَجُزُ كذلك، وتكرارُ الفاءِ وتكرارُ كلمة ﴿فَٱعۡبُدۡ﴾ يُؤذِنُ بأنَّ مَحْضَ سورة الزُّمر هو إخلاصُ العبادةِ للّه ربِّ العالمين[1].

في الفاء توجيهٌ للّذين كفروا بالآيات إلى دلائلِ الأُلوهيَّة السّابق ذكرُها

علَّةُ التَّعبير بالعبادة:

كانَ المأمورُ به هو العبادةَ في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡ﴾ مع ضميمة تعلُّقها باسمِ الجلالةِ: ﴿ٱللَّهَ﴾ مذكورًا أو محذوفًا؛ لأنَّ القومَ الكافرينَ قد أمَروه بعبادةِ غيرِ اللّه كما حكَى القرآنُ في قوله تعالى آمرًا نبيَّه أنْ يُنكر عليهم ذلك؛ مُغْلِظًا لهم القولَ: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾؛ ولأنَّ جذْرَ السّورةِ ومعناها الأُمَّ قولُه تعالى في مطلع السّورة: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ [الزمر: 2].

إنَّما يُصَرَّحُ بالمعنى الأُمِّ ويُكرَّرُ

دلالةُ أمر النَّبيِّ ﷺ بالعبادة:

لم يغفل قلبُ نبيِّنا محمَّد ﷺ عن استحضارِ كمالاتِ اللّه تعالى، والتَّفكُّرِ فيها، فكان عابدًا للّه في كلِّ أحواله، معَ ضميمة أنَّه كان قرآنًا يمشي على الأرضِ، فمِثْلُه إذا أُمِرَ في سياقِ تقرير ابتلائِه بأمْرِه مِن

الثَّباتُ في مقاماتِ الطّاعاتِ نعمةٌ عَليَّةٌ

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 415.

قِبَلِ أهلِ الكُفْرِ والشِّرْكِ بالكُفْرِ والشِّرْكِ، فإنَّ المرادَ مِن ذلك الأمرِ هو إبلاغُهُ مِن قِبَلِ ربِّه أنْ يَستثمِرَ ذلك البلاءَ، بأنْ يَثْبُتَ في مقام العبوديَّة، وأن يُداوِمَ على عبادته تعالى وعلى إخلاصِ العبادةِ له، وأنْ يستمرَّ في ذلك على جهة التَّرَقّي في مقاماتِ العبادةِ، تلك الَّتي لا تتناهَى؛ لأنَّ كمالاته سبحانه لا تتناهَى.

نكتةُ تقديمِ الأمر بالعبادة على الأمر بالشُّكر:

المعنى المُقدَّمُ هو جذْرُ السّورةِ

قدَّم القرآنُ أمرَ الرَّسول ﷺ بعبادة اللّه وحده على طلبِ أنْ يكونَ ﷺ في عِداد الشّاكرين؛ لأنَّه المقصودُ المخصوصُ مِن السّياقِ، والثّاني تابعٌ خادِمٌ له، فقد أمَر أهلُ الكفر والشِّركِ نبيَّنا محمدًا ﷺ بعبادة غير اللّه، فأمر اللّه رسولَهُ بالرَّدِّ عليهم في آية: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾، ثُمَّ قرَّر تعالى أنَّ تَوحيدَ اللّه وعدمَ الإشراكِ به أصلٌ مِن أصولِ الدّينِ الإسلاميِّ في آية: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، فلا بُدَّ أنْ تكونَ النَّتيجةُ، والمعنى الألصقُ بذلك: هو تثبيتَه ﷺ على ذلك التَّوحيدِ، وأمّا كونُه مِن الشّاكرينَ؛ فمِن تمامِ المُقدَّمِ، وتابعٌ له.

سِرُّ الوَصْلِ بالواوِ:

العبادةُ أعلى وجوهِ الشُّكرِ، وإذا كانَتْ خالصةً للهِ؛ صحِبَها كلُّ شُكرٍ بغيرِها

قولُه تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ معطوفٌ بالواو على قوله تعالى: ﴿ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾؛ لِما بينهما مِن التَّوسُّطِ بينَ الكمالَيْن، فكلٌّ منهما إنشاءٌ لفظًا ومعنًى، والآمِرُ فيهما واحدٌ، وهو اللّه - ﷻ - والمأمورُ فيهما واحدٌ، وهو النَّبيُّ محمَّدٌ ﷺ والواوُ تدلُّ على أنَّ مضمونَ الجملةِ الثّانيةِ غيرُ مضمونِ الجملةِ الأولى؛ لِما فيها مِن معنى المُغايَرةِ الذي لا يكادُ يبرحُها، أي: وكُنْ مِن الشّاكرينَ على ما أنعم به عليك، مِن أنْ جعلَك سيِّد ولدِ آدم في كلِّ شيء، فالمقصودُ بالشُّكْرِ هنا العملُ الصالحُ غيرُ العبادة الخالصة للّه، ويجوزُ أنْ يكون المقصودُ به

الشُّكْرَ بالعبادة؛ إذ إنَّ عبادتَه لا يُمكن أنْ تقَع إلّا شُكْرًا؛ لِما له مِن عموم النِّعَم سابقًا، وهذا الأمرُ بالشُّكْرِ يفيدُ عطفُه على ما سبقه أنَّ أجلَّ نعمةٍ يَمُنُّ اللهُ بها على الإنسانِ هيَ إخلاصُ العبادة، وهي الموجِبةُ للشُّكْر، وشُكْرُ نعمة الإخلاصِ شُكْرٌ له مَذاقٌ آخَرُ؛ لأنَّ مَن رُزِقَ الإخلاصَ في العبادة فقد رُزِق الإخلاصَ في الشُّكْر؛ لأنَّ الشُّكْر عبادةٌ، ومَن رُزِق الإخلاصَ في الشُّكْر؛ فقد ذاقَ حلاوةَ الإيمانِ[1].

عِلَّةُ التَّعبير بالكَوْنِ:

ليس كمِثْلِ شُكْرِ نبيِّنا ربَّـهُ شُكْرُ غيرِه ربَّهُ

كان الظّاهرُ أنْ يُقال: (واشكُره)، أو (واشكر)، على حذف معمول الشُّكر ومتعلِّقه؛ اتِّساقًا مع قوله تعالى مِن قبل: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾، ولكنَّ القرآنَ عدَل عن ذلكَ إلى ما هو أطولُ لفظًا في الظّاهرِ، ولكنَّه أعمقُ وأوسَعُ معنًى، وهو الألصقُ بحالِ المُحدَّثِ عنه ﷺ فأتى بكلمة الكون في قوله تعالى: ﴿وَكُن﴾؛ للإشارة إلى أنَّ شكر الله بالعمل الصّالح مِن ديدنه وشأنه، وجزءٌ مِن طَبْعِه ﷺ فمِن شأنِه أنْ يُطلبَ منه الثَّباتُ على ذلك المقامِ العَليِّ.

دلالةُ الأمر (كن):

الـتَّرَقّـي في مقاماتِ القُرْبِ مِن اللهِ لا حدَّ لهُ

المقصودُ بالأمر في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾، وقولِه تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: ليس أصلَ المعنى؛ لأنَّه ﷺ عابدٌ لله، ومخلِصٌ له العبادة، وشاكرٌ لربِّه بذلك وغيرِه، وما انقطع عن ذلك لحظةً واحدةً وأدنى مِن لحظةٍ، بل هو العابدُ الشَّكورُ اليَقِظُ قلبُه على الدَّوامِ، وإنَّما الغرضُ أن يزدادَ المُخاطَبُ ﷺ تمسُّكًا بما هو عليه مِن الحقِّ واليقينِ، ويستمرَّ على ذلك، ويُداوِمَ عليه، ويترقَّى فيه، كما في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 1]. فمِن شأنِه ﷺ أنْ يستثمر البلاءَ، وأنْ يترقَّى به في درجات الكمالِ النَّبَويِّ.

(1) الزمخشري، الكشاف: 13/ 429، والبقاعي، نظم الدرر: 6/ 469، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 416.

سِرُّ العُدولِ عنِ المُفْرَدِ إلى الجَمْعِ:

نبيُّنا ﷺ أعلى الخلائقِ، فشُكْرُه أعلى شُكْرٍ

كان الظّاهرُ أنْ يقولَ القرآنُ: (وكن شاكرًا)، ولكنَّه عدَل عن نظْمِ الخبرِ الَّذي هو وصفٌ في المعنى لصاحبِه مفردًا إلى نظْمِه بطريقةِ الجَمْعِ المُذكَّر، فقال: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، فأتى بـ ﴿مِّنَ﴾ التَّبْعيضيَّة، وأدخلَها على الاسم: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على طريقة: (فلان مِن العلماء) الذي هو أبلغُ مِن طريقة: (فلان عالم) في إثباتِ الصِّفة؛ فطريقةُ الجَمْعِ تدلُّ على أنَّ المسند إليه الموصوفَ بالخبر مِن المعروفينَ المشهورينَ بالصِّفة؛ لأنَّه مِن الرّاسخينَ العالينَ فيها، والمقصودُ مِن وراءِ هذه الطَّريقة في سياقِ جنابِه ﷺ التَّرقّي في مقاماتِ الشُّكْرِ، أي: كُنْ مِن الذين يترقّون في سُلَّم مقاماتِ الشُّكْرِ؛ لأنَّه ﷺ رأسُ الشّاكرين، وكلُّ شُكْرٍ مِن أحدٍ؛ فهو دونَ شُكْرِه.

علَّةُ التَّعبيرِ بالشُّكْرِ:

أبرز الله كمالَ نبيِّه محمَّدٍ ﷺ بأمرِه بالشُّكْرِ

أمَر اللّهُ تعالَى نبيَّه محمَّدًا ﷺ بالشُّكْرِ في قوله تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ إبرازًا لعَظَمةِ نعمةِ العبادة وإخلاصِها لله تعالى على جهة الخصوص، أو لعظمةِ نعمه سبحانه على نبيِّه ﷺ، على جهة العموم؛ لأنَّ الشُّكْرَ هو تصوُّرُ النِّعمةِ وإظْهارُها، وضِدُّه الكُفْرُ، وهو نسيانُ النِّعمة وسترُها[1]، والسّياقُ يقتضي ذلك، فمِن وراءِ خطابِ النَّبيِّ ﷺ خطابُ أمَّته أمَّةِ الدَّعوة، ببيانٍ عظيمٍ قيمة إخلاصِ العبادةِ لله تعالى، وبيانِ جليلِ نِعَمِ الله على نبيِّهم ورسولِهم، وسياقُ أمرِه ﷺ بالكفرِ والرَّدِّ عليه وإنكارِه يقتضي كشْفًا عن عظيمِ مكانته ﷺ عندَ ربِّه تعالى؛ لأنَّه أخلصُ عباد الله في عبادة الله.

بلاغةُ التَّعريف بـ(ال):

نظَم القرآنُ خبرَ الكونِ مُعرَّفًا بـ(ال) في قوله تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، وهذا يحتملُ الجنسَ أو الاستغراقَ في الظّاهر، والذي

(1) الراغب، المفردات: (شكر).

يليقُ بمقامِ المُحدَّثِ عنه الشَّريفِ ﷺ أنْ تكونَ: (ال)؛ للدَّلالةِ على معنى الكمالِ، وهذا مِن بابِ التَّوسُّعِ أيضًا؛ لأنَّه ﷺ أكملُ الخَلْقِ، فلا أحدَ أكملُ منه عبادةً وشُكْرًا، وغيرَ ذلك، فهو مِن الكُمَّلِ على أنَّه أكملُهُم ورأْسُهُم.

كلُّ الشَّرَفِ والفَخْرِ لجماعةِ الشّاكرينَ بكونِ رسولِ اللهِ منهم

دلالةُ الاسميَّة:

جاء الخبر اسمًا في قوله تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّه ﷺ مِن الَّذين يتَّصِفون بالشُّكْر على جهة الثُّبوت والدَّوام، فهو عريق فيه، وهو أكملُ الشّاكرين، وأعلاهُم وأشرفُهم على الإطلاقِ.

الكُمَّلُ المُصْطفونَ هم الثّابتون في مقاماتِ الطّاعةِ، الدّائمونَ فيها

سِرُّ حذفِ متعلِّق الشُّكر:

فِعْلُ الشُّكْرِ يتعدَّى بنفْسِه إلى مفعولٍ، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [الأحقاف: 15]. كما في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: 14]، وفي قوله تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ حذف القرآنُ متعلِّق اسم الفاعل: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الذي يعملُ عمل الفعل؛ إشارةً إلى أنَّ نعمتَه أو نِعَمَه تعالى على نبيِّه محمَّدٍ ﷺ مِن شأنِها الشُّكْرُ الكثيرُ، فمقامُ شُكْرِه ربَّه وسيعٌ جِدًّا، سواءٌ كان متعلِّقُ الشُّكر نعمةَ إخلاص العبادة، فهي أُمُّ باقي النِّعَم، أو جميعَ نعمِه تعالى عليه ﷺ وبهذا تتوافق هذه الكلمة: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ مع الفواصل قبلها والفواصلِ بعدَها.

ليس كمِثْلِ فَضْلِ اللهِ على نبيِّهِ ﷺ فَضْلُه على غيرِه مطلقًا

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»